

## رياض الصالحين

شرح حديث أبي هريرة رضي الله عنه -: "إذا مرض العبد أو سافر كتب له.." وحديث جابر رضي الله عنه -: "كُلْ مَعْرُوفٍ صدقةٌ"

الشيخ: خالد بن عثمان السبت

الحمد لله رب العالمين، والصلوة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فمن الأحاديث الدالة على كثرة الطرق التي يتوصل بها إلى الخير والأعمال الطيبة الصالحة وتحصيل الأجر: حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه - قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم -: ((إذا مرض العبد أو سافر كتب له مثل ما كان يعمل مقيماً صحيحاً))<sup>(١)</sup> رواه البخاري.

هذا يخرج منه الفرائض؛ لأن الفرائض يجب على الإنسان أن يعملاها، لكن يدخل في ذلك ألوان النوافل، فإذا كان الإنسان من عادته - مثلاً - أن يصوم يوماً وأن يفطر يوماً، أو يصوم الإثنين والخميس، أو أنه من عادته أن يصلي السنن الرواتب، ويكثر من النفل المطلق، ويفصل قيام الليل ثم سافر أو مرض، فاقتصر على الفرض فقط، أو على الوتر وركعتي الفجر، فإنه يكتب له في كل يوم ولو طال سفره أو مرضه، ولو بقي سنوات، يكتب له قيام الليل، وصيام النهار، فأي فضل وعمل أرجى من هذا؟.

ولذلك لما مرض ابن مسعود رضي الله تعالى عنه - بكى، فسألته بعض أصحابه، قالوا: هل تبكي جزعاً من المرض؟، فقال: لا، ولكنه قد نزل بي في وقت فتره<sup>(٢)</sup>، يعني: في وقت فتور من الأعمال، لم يكن مجدًا في ذلك الوقت في الأعمال الصالحة والصيام والنوافل والقيام، وما أشبه ذلك فجأة المرض، مما يكتب له إلا ما كان معتمداً له قبل المرض، فحزن لهذا السبب وبكي.

من هنا يستشعر هذا المعنى إذا مرض؟ العادة أن الإنسان إذا مرض لا يفكر إلا في الأطباء والأدوية، ويزهد ذهنه إلى كل ناحية، أن يكون هذا المرض لا علاج له، أو أنه مرض خطير، أو غير ذلك، لكن من الذي يفكر يقول: أنا جاعني هذا المرض وأنا في وقت من الفتور لم أكن مجدًا حتى يكتب لي ما كنت أعمله وأنا صحيح.

اثنان في السيارة أو في الطيارة وسافرا، هذا يكتب له فقط السنن الرواتب إن كان يصلحها، وإن كان لا يصلحها لا يكتب له شيء، والآخر يكتب له قيام الليل وصيام النهار، وهو مفطر ونائم، فهذا من سعة فضل الله وكرمه على عباده، فينبغي للإنسان أن يجتهد، وأن يكمل عمله في حال الإقامة والصحة، فإذا عرض له عارض من سفر أو مرض يعجز معه عن القيام بما كان يقوم به قبل ذلك أجرى الله عليه عمله، ومن ذلك

<sup>١</sup>- أخرجه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب يكتب للمسافر مثل ما كان يعمل في الإقامة، (٤/٥٧)، رقم: (٢٩٩٦).

<sup>٢</sup>- انظر: شعب الإيمان للبيهقي (١٢/٣٢٦)، رقم: (٩٤٦).

حديث جابر بن عبد الله -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: **(كل معروف صدقة)**<sup>(٢)</sup>، رواه البخاري ومسلم من حديث حذيفة -رضي الله تعالى عنه-، وهذا يدخل فيه كل ما يتصور أنه من قبيل المعروف سواء كان ذلك مما يتعلق بما يصدر من اللسان من المقالات، أو ما يصدر من جوارح الإنسان، أو ما يكون من الأعمال المالية، أو ما يكون مما يقوم به من الحال كالتبسم وطلقة الوجه، وما إلى ذلك مما يفعله الإنسان يدخل به السرور على إخوانه المسلمين، كل ذلك يؤجر عليه الإنسان، كل معروف سواء صدر إلى إنسان أو بهيمة، إلى من يعقل أو من لا يعقل، إلى صغير أو كبير، فهو صدقة، إذا مر الإنسان ومسح على رأس الصبي فهي صدقة، وإذا تكلم بكلام طيب ورد برد طيب على الناس فإن ذلك صدقة، وإذا تصدق ولو بشيء تافه فإنه يكتب له بذلك صدقة، **كل معروف صدقة**، وهذا ما يتعلق بما يخطر بالبال من رفع قذاة من المسجد فهي صدقة، وقل ما شئت مما يتخيل مما يقل أو يكثر ويعظم من أعمال يمكن أن يصدق عليها أنها معروفة، ويؤخذ من هذا الحديث أن الصدقات كما سبق لا تختص ببذل المال، ودفعه في وجوه البر، فهذا من الصدقات، ولكن الصدقات تتعدى ذلك فهي تكون بالمال، وتكون أيضاً بالأعمال الأخرى بالكلام والفعل والتبرع، وما إلى ذلك، كل هذا صدقة، فمن الذي يعجز أن يتصدق؟.

ولذلك أقول: أئمَّةُ الإنسـانِ أبوابُ كثيرةٍ مـنَ الـخـيرِ، يمكن أن يقدمها إلى الآخرين وينتفعون بها، وقد يكون مما يعود إليه هو، أو مما يختص بأهله، أو نحو ذلك فيكون له بذلك صدقة، حتى الطعام الذي يشتريه لأهله وأولاده، وما يفرح الصبي من لعبه ونحو ذلك كله يؤجر الإنسان عليه، ويكون له به صدقة، وهذا مداعبة الزوجة أو مداعبة الصغار، أو مداعبة أي إنسان لتدخل عليه السرور، فإن ذلك يكون من الصدقات. هذا، وأسأل الله -عز وجل- أن يعيننا وإياكم على طاعته، وأن يتقبل منا ومنكم، وأن يغفر لنا ولهم ولوالدينا ولإخواننا المسلمين، وصلى الله على نبينا محمد، وآلـهـ وصحبهـ.

---

<sup>٣</sup>- أخرجه البخاري، كتاب الأدب، باب كل معروف صدقة، (٦٠٢١)، رقم: (١١/٨)، ومسلم، كتاب الزكاة، باب بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف، (٦٩٧/٢)، رقم: (١٠٠٥).